بمناسبة عيد الجهاد الوطني :

مراكش حية . . . !

للأستاذ عبد الكريم غلاب

في يوم ١١ يناير احتفلت مراكش بعيد جهادها الوطني ، وهو يوم يقف فيه المراكشيون خاشعين أمام قبور شهدائهم الذين صرعتهم بنادق السينغاليين ومدافع الفرنسيين . يقفون خاشعين ليتذكروا تلك الأيام السود التي حوصر فيها المراكشيون من كل صوب ، وسلط عليهم جحيم المادة ، فلم يفقدهم صوابهم ، ولم يثنهم عن عزمهم في استرجاع استقلالهم من الذين استلبوه منهم بالقوة ، فعبثوا به واستهانوا بقدسيته .. ففي مثل هذا اليوم من سنة ١٩٤٤ أعلنت الأمة المراكشية مطالبتها باستقلالها ، وقدمت لذلك مذكرة طالبت فيها بإلغاء الحماية الفرنسية على مراكش ، وبإفساح المجال أمام الشعب ليسلك سبيله في الحياة الديمقراطية الحرة ، وليتمكن من الانضمام إلى إخوانه العرب في الشرق .

ولقد كان لتقديم هذه المذكرة إلى جلالة ملك مراكش والحكومة الفرنسية وسلطات الحلفاء ، ولما صاحبه من مظاهر العزم — التي بدت من الشعب — على تحقيق هذه المطالب ؛ كان لكل ذلك أثره العميق في الدوائر الفرنسية ، فقررت أن تقمع هذه الحركة بكل ما يتاح لها من قوة ، وبكل ما يملك أبناؤها من عزيمة صارمة في الدفاع عما يسمونه امبراطوريتهم . وتقابلت القوة مع الإيمان الأعزل ، وكان من ذلك تلك المأساة المروعة التي يندى لها الضمير الإنساني الحي ، والتي برع الفرنسيون في تمثيلها مع العرب سواء في الشرق أو الغرب .

ولكن المراكشيين لم ترعهم هذه المأساة ، فقد ألفوا ذلك منذ وطئت أقدام الفرنسيين أرضهم المقدسة في سنة ١٩١٢ . فالمأساة الأخيرة ليست إلا فصلا من رواية الجهاد الوطني المراكشي الذي ابتدأ منذ ثلث قرن ، والذي سينتهي لا محالة بفوز المراكشيين ، لأنهم أصحاب حق ، ولأنهم أهل لأن ينالوا هذا الحق . لقد دافع المراكشيون عن بلادهم يوم فرضت عليهم معاهدة الحماية ، وواصلوا جهادهم في الجبال والغابات الجنوبية ، ثم ا الأمير عبد الكريم الريفي يستعيد أرض أجداده من الأسبان والفرنسيين ، وما كاد يضع سلاحه حتى قام الجهاد السلمي مم في الأحزاب والهيئات الوطنية التي انتهى بها المطاف — ر ما أصيبت به من نكبات — إلى أن تعلن مطالبة الأمة المراكش باستقلالها في ١١ يناير من سنة ١٩٤٤

هذا هو جهاد مراكش الذي يمد صراعا بين الموت والحيا وهو إن دلنا على شيء ، فإنما يدلنا على أن هذه الأمة الكريمة تموت ، لأن عناصر الحياة كلها تتدفق في دمها ، وهي كفيلة بأ تحفظ هذه الأمة من الانهيار .

وأول عنصر من عناصر الحياة في مراكش هو تاريخ الطويل في الاستقلال والحرية ، وقد تسلسلت حلقات هذا التار منذ عرفت الحياة على الأرض المراكشية ، فلم يحكم مراكش غير أبنائها الذين دافعوا عن أرضهم طوال عصور التاريخ إلى تآمرت عليهم الدول الأوربية في أوائل القرن العشرين ، وك نتيجة لذلك الاتفاق الإنجليزي المصري سنة ١٩٠٤ الذي بمقتض أطلقت انجلترا يد فرنسا في مراكش ، كما أطلقت فرنسا انجلترا في مصر . وقد أتاحت هذه المؤامرة الفرنسية الإنجليز لفرنسا أن تفرض حمايتها بالقوة على مراكش ، فخرت هذه الأ صريعة أمام قوة الفرنسيين وغدرهم وخيانتهم . وبذلك وضع لتاريخ الاستقلال في مراكش .

والعنصر الثاني من عناصر الحيوية المراكشية هو المنص الخلق ، فقد ورث هذا الشعب عن أجداده البربر والعرب الأ والكبرياء ، والدفاع عن النفس والصبر والتضحية والاستهانة بالح في سبيل كرامته ؛ وتلك صفات — ولا شك — تجعل م الشعب من أكثر الشعوب استعداداً للدفاع عن أرضه ونفس بل تجعله من أكثر الشعوب شعوراً بالكرامة وتمسكا بالاستقلال وقد أدرك هذا أولئك الذين وضعوا أسس الحماية الفرنسية — و مقدمتهم المرشال ليوطي — فحذروا فرنسا من الاستهانة بهذا العنصر الحيوي في مراكش .

والعنصر الثالث هو الدين ، فالمراكشيون من أشد الأ تمسكا بالدين الإسلامي ، وهم يدركون إلى حد كبير معنى التدخ

الأجنبي في الشؤون المراكشية ، ويفسره ابن الشعب في مراكش بأنه تدخل ينافي عقيدته ودينه ، وهو من أجل ذلك يعمل على أن يكون صحيح الإيمان سليم العقيدة . وذلك ولا شك عنصر من عناصر الحيوية في مراكش .

وعنصر آخر لا يقل عن العناصر السابقة قيمة ، وهو عنصر اللغة . فمراكش تستعمل لغة واحدة هي العربية ، وهي بذلك تتصل بماضيها العتيد ، فتستمد منه الوحي والإيمان وتتصل ببقية الشعوب العربية في الشرق التي تكافح وتجاهد في سبيل استكمال استقلالها ، وذلك من شأنه أن يجعل شعور هذه الأمم كلها واحداً نحو قضاياها الاستقلالية ، ويجعلها تسلك سبيلا واحداً نحو الهدف الأسمى . ولعل تاريخ الحركات الاستقلالية في البلاد العربية كلها يدلنا على قيمة هذا العنصر ومظهره . فاللغة العربية — إذن — هي السبيل الوحيد لاتصال مراكش بالشعوب العربية في الشرق اتصالا روحياً ومادياً .

ولسنا نعدو الحقيقة إذا قلنا : إن من أكثر الأشياء حيوية في الشعب المراكشي هو العرش . فالعرش العلوي في مراكش عتيد في التاريخ ، لأنه ناهز ثلاثة قرون كاملة . ومن أجل ذلك اتصل العرش بالشعب والشعب بالعرش ، وأصبحا يعملان معاً لخير البلاد المراكشية ومصلحتها . وهكذا نجد الشعب يتعلق بملكه المحبوب وخاصة في أوقات الفزع ، فينجده جلالة الملك ويرفع عنه عدوان المعتدين

تلك هي عناصر الحياة في مراكش ، وتلك هي الدعامات الأساسية التي تعتمد عليها في دفاعها عن استقلالها ، وقد عرف الفرنسيون خطر هذه العناصر ، فأرادوا هدمها حتى يتمكنوا من إدخال هذا الشعب تحت امبراطوريتهم . وعرف المراكشيون بدورهم نية الفرنسيين فقاوموها بكل ما يملكون من قوة . وذلك هو جوهر الصراع بين المراكشيين والفرنسيين منذ سنة ١٩١٢ . أراد الفرنسيون أن يفصلوا مراكش عن تاريخها ويهدموا خلقها ، ويحولوا بينها وبين دينها ، ويفرنسوا لغتها ، ويقطعوا ما بينها وبين الشرق العربي من صلة ، ثم أرادوا أن يفصلوا بين الشعب والعرش .

ولكن المراكشيين تشبثوا بتاريخهم وخلقهم ، ثم دافعوا عن دينهم ضد (الظهير البربري) المشئوم سنة ١٩٣٠ ، وقاوموا برامج التعليم الفرنسية التي طبقت في مراكش حتى يحتفظوا باللغة العربية كلغة رئيسية في المدارس المراكشية ، ثم هم يعملون على أن يضموا إلى الجامعة العربية ، حتى يضمنوا بذلك اتصالهم بإخوانهم العرب في الشرق . أما صلتهم بالعرش وإخلاصهم له ، فلا تزداد إلا توطداً ونمواً .

تلك خلاصة الصراع في مراكش طيلة ثلث قرن . وقد نجح المراكشيون في الاحتفاظ بعناصر الحياة فيهم ، وهم إذ يطالبون اليوم باستقلالهم ، فإنما يريدون أن يبنوه على أساس متين من التاريخ واللغة والدين والخلق . وذلك ما يجعلنا نؤمن بأن مراكش ستصل ... وأنها حية تسير — رغم ما ينتابها من نكبات — نحو الحياة الحرة الكريمة .

عبد الكريم غلاب

صدر بافتناء نسختك من :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً